

الفصل الثامن

obeikandi.com

غدير خم

عن عبد الله بن بريد (وكان بينه وبين علي رضي الله عنه جفوة) قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن ليقبض الخمس وقد أصبنا سبياً وفي السبي وصيفة من أفضل السبي ، فخمّس وقسم وخرج وقد اغتسل (ورأسه يقطر ماء) فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا...؟ فقال ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي فإني قسمت وخمّست فصارت في الخمس ، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ثم صارت في آل علي ووقعت بها. فكتب أحدهم إلى رسول الله ﷺ فقلت: ابعثني مصدّقاً فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدّق ، فأمسك يدي والكتاب وقال: «أتبغض علياً...؟» قلت: نعم ، فقال: «لا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد حباً له فو الذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة». قال: فما كان من الناس أحد بعد النبي ﷺ أحبّ إليّ من علي^(١).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت فيمن خرج مع علي رضي الله عنه إلى اليمن ، فلما أخذ من إبل الصدقة سأله أن نركب منها ونريح إبلنا ، وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً ، فأبى علينا وقال: إن لهم فيها سهماً كالمسلمين ، فلما فرغ علي رضي الله عنه وانطلق راجعاً من اليمن أمر علينا إنساناً وأسرع هو وأدرك الحج مع رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من حجّه قال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليه» ، وقد كنا

(١) البداية والنهاية: ١٠٤/٥.

سألنا الذي استخلفه (أمره) علينا ما كان منعنا منه رضي الله عنه ففعل ، فلما عرف علي رضي الله عنه أن إبل الصدقة قد رُكبت ، ورأى في أثر الركوب قدم الذي أمره فلامه .

فقلت: إن لله عليّ لئن قدمت المدينة لأذكر ذلك لرسول الله ﷺ ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق .

فلما قدمنا المدينة عدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر رضي الله عنه خارجاً من عند رسول الله ﷺ ، فلما رأيته وقف معي ورحب بي وسألني وسأله ، فقال لي: متى قدمت...؟ فقلت: قدمت البارحة ، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، فقال: (اأذن له) فدخلت وحييت رسول الله ﷺ وحياني وأقبل عليّ وسألني عن نفسي وأهلي وأحفى المسألة فقلت: يا رسول الله ، صلى الله عليك: ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق فامتاز رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعدد ما لقيته من علي رضي الله عنه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ على فخذي وكنت منه قريباً ، وقال: «يا سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه أحسن في سبيل الله». فقلت في نفسي لا أراني فيما يكره ، والله لا أذكره بسوء .

- عن يزيد بن ركانة قال: وجد (غضب) جيش علي رضي الله عنه الذين كانوا معه باليمن؛ لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلاً وتعجل إلى رسول الله ﷺ بالحج ، فعمد الرجل فلبس كل رجل منهم حُلّة ، فلما دنوا خرج عليهم علي رضي الله عنه يستقبلهم فإذا عليهم الحُلل ، فقال علي: ما هذا...؟! قالوا: كسانا فلان... فقال له: ما دعاك لهذا قبل أن تقدم على رسول الله ﷺ فيصنع ما يشاء ، فنزع الحُلل منهم ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ اشتكوه لذلك . قال رسول الله ﷺ «لا تشكو علياً فوالله إنه لأخشى في ذات الله» .

- والمقصود أن علياً رضي الله عنه كثر فيه القيل والقال من الجيش

بسبب إبل الصدقة ، ولبسهم الحُلل ، والوصيفة ، (وهو معذور فيما فعل) لكن اشتهر الكلام فيه بالحج من الحجيج ، فلذا - والله أعلم - لما رجع رسول الله ﷺ من حجه وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة وقف بغدير خم (قرب الجحفة) فقام خطيباً بين الناس مبرئاً ساحة علي رضي الله عنه ورفع من قدره وفضله وبرزاً عرضه مما كان تكلم به البعض ممن كان معه بأرض اليمن .

فقام رسول الله ﷺ ، ونادى : الصلاة جامعة ، ونادى علياً وأقامه على يمينه ، ثم قال : «كأني دعيت فأجبت وقد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، ثم قال : مولاي الله وأنا ولي كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : من كنت مولاه فعليّ (هذا) مولاه (وليه) اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ، قال : أأست بأولى بكل مؤمن من نفسه؟» . قالوا : بلى ، فقال : «هذا ولي من أنا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره ، اللهم أحب من أحبه وأبغض من أبغضه» .

* * *

المصيبة الكبرى

وفاة رسول الله ﷺ

- في مرضه ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصلي بالناس»، فقيل: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أَسِيفٌ إذا قام مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس (من بكائه)، فأعاد ﷺ، فأعادوا... (ثلاثاً..). فقال: «إنكم صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلي بالناس». فخرج أبو بكر رضي الله عنه، ووجد رسول الله ﷺ مرة في نفسه خَفَةً فخرج يُهادى بين رجلين، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثم أتى به فجلس إلى جنبه، فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

- وقف ﷺ في مرضه مرة على المنبر، فتشهد، وأول ما تكلم به استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد (رضي الله عنهم)، ثم قال: «إن عبداً من عباد الله خُيّر بين الدنيا وما عند الله فاختر العبد ما عند الله». فبكى أبو بكر وقال: بأبي أنت وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا (فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلم بما أراد).

ثم قال: «إن آمنَ الناس عَلَيَّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً غير ربي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام ومودته». ثم قال: «لا تبقوا في المسجد خوخة (باب) إلا سدت إلا باب أبي بكر...». إنه دنا مني خلوف من بين أظهركم ولن تروني في هذا المقام فيكم وقد كنت أرى أن غيري مغنٍ عني حتى أقومه فيكم، ألا من جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدّه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه،

ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستَقِدْ منه ، ولا يقولن قائل : إني أخاف الشحنة من قِلِ رسول الله ، ألا وإن الشحنة ليست من شأني ولا من خلقي ، وإن أحبكم لي من أخذ حقاً إن كان له عليّ أو حللني فلقيت الله عز وجل وليس لأحد له عندي مظلمة ..» .

فقام رجل فقال : يا رسول الله لي عندك ثلاث دراهم ، فقال : «أما أنا فلا أكذب قائلاً ولا مستحلفه يميناً فيما كانت لك عندي» . وأمر به فجلس ، ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى ثم قال : «أيها الناس من كان عنده من الغلول شيء فليردّه» . فقام رجل فقال : يا رسول الله عندي ثلاث دراهم غللتها في سبيل الله ، قال : «لِمَ غللتها؟» قال : كنت إليها محتاجاً ، قال : «خذ منه يا فضيل (بن العباس)» .

ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى وقال : «أيها الناس من أحس في نفسه شيء فليقم أَدْعُو له» ، فقام رجل إليه ، فقال : يا رسول الله إني منافق وإني لكذوب وإني لشؤوم .. ، فقال عمر رضي الله عنه : ويحك أيها الرجل سترك الله لو سترت على نفسك ! فقال رسول الله ﷺ «مه يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وأذهب عنه الشؤم إذا شاء» ، ثم قال رسول الله ﷺ : «عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر» .

آخر ما تكلم رسول الله ﷺ : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب .. أجزوا الوفود بنحو ما كنت أجزهم ..» وسكت عن الثانية أو نسيها ، وأوصى بكتاب الله عز وجل ، وقال له : «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .

... لا يبقين دينان بأرض العرب .

... أحسنوا الظن بالله - أو - لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن

بالله .

... الصلاة وما ملكت أيمانكم .

... اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى .

لما ثقل رسول الله ﷺ قالت فاطمة : واكرباه ، فقال عليه السلام : «ما على أبيك كرب بعد اليوم» .

- جاء عمر والمغيرة رضي الله عنهما فاستأذنا فأذنت عائشة رضي الله عنها فنظر عمر إليه وقال : واغشياه ما أشد غشي رسول الله ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر مات رسول الله ﷺ ، فقال : كذبت بل أنت تحوسك فتنة ، إن رسول الله لن يموت حتى يفني الله المنافقين .

- من جهة أخرى : فإن العباس قال لعلي رضي الله عنهما : إني والله لأعرف في وجوه بني هاشم الموت ، وإني لأرى في وجه رسول الله ﷺ الموت ، فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر ، فإذا كان فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا وصيناه فينا ، فقال علي رضي الله عنه : إني لا أسأله ذلك ، والله إن منعناها لا يعطينها الناس أبداً من بعده ، فدخلا عليه ، فقبض وتوفي عليه السلام من غير وصية الإمارة .

- ثم جاء أبو بكر فرفع الحجاب فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسول الله ، ثم أتاه فقبل رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه مات رسول الله ، وخرج من المسجد وكان عمر رضي الله عنه يخطب ويقول : إن رسول الله لن يموت حتى يفني الله المنافقين .

- ثم تكلم أبو بكر فقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِيَتُّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ .. حتى فرغ من الآية ، .. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ .. ثم قال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

- فقال عمر : وإنها لفي الكتاب .. ! ما شعرت بها أنها في كتاب الله .. ، فصار الناس يقرؤونها . وخطب أبو بكر وقال بعد التشهد : إن الله نعى نبيه إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِيَتُّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ .. وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عز وجل ،

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا...﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَئِنَّ الْحَكْمَ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

- وقال: إن الله تعالى عمّر محمداً وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد في الله ثم توفاه على ذلك وترككم على الطريقة فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة ، فمن كان ربه الله فإن الله حي لا يموت ومن يعبد محمداً ويتخذة إلهاً فقد هلك إلهه ، فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من ينصره ومعز دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمداً وفيه حلال الله وحرامه والله لا نبالي من أجلب خلق الله.

إن سيوف الله المسلوطة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا ، كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ فلا يبغي أحد إلا على نفسه .
... ثم انصرف المهاجرون إلى رسول الله ﷺ .

خرج العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس ، هل عند أحدكم من عهد من رسول الله ﷺ في وفاته فليحدثنا..؟ قالوا: كلا ، قال: هل عندك يا عمر؟ قال: لا ، فقال العباس: اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله ﷺ بعد عهده إليه في وفاته والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت .

وقول ابن عباس رضي الله عنه: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك الكتاب .

- ثم إن علياً شغل في غسل الرسول ﷺ ، فقد غسله مع عمه العباس والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه .

ولما اجتمع القوم لغسله ، نادى من وراء الناس أوس بن خولي الأنصاري أحد بني عوف من الخزرج وكان بدرياً ، نادى على علي ،

فقال: يا علي ناشدتك الله ، وحظنا من رسول الله ، فقال علي: ادخل ،
فدخل .

غسل النبي عليه الصلاة والسلام ، وكفن بثلاثة أثواب ، وأدخل عليه
الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً ، حتى فرغوا ، ثم أدخل عليه
النساء ، ثم أدخل الصبيان ، حتى دخل العبيد والإماء لثلاثة أيام (الاثنين
والثلاثاء والأربعاء).

* * *

خلافة أبي بكر

أمر البيعة:

خطب عمر بن الخطاب بعد عودته من الحج في خطبة الجمعة فقام بعد أن سكت المؤذن وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أيها الناس ، إني قائل مقالة وقد قدر لي أن أقولها لعلها بين يدي أجلي ، من وعائها وعقلها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن لم يعيها فلا أحل له أن يكذب عليّ.

إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما نزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال الزمن بالناس أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله ، فالرجم حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

- ألا وكنا نقرأ: لا ترغبون عن آبائكم فإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

- ألا وإن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرى النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقد بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو مات عمر لبايعت فلاناً ، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ألا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها ، وليس فيكم اليوم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ.

إن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتخلف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً ، فذكرنا لنا الذي صنع القوم فقالوا لنا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار ، فقالوا: لا عليكم أن تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين .

فقلت: والله لنائينهم ، فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة ساعدة ، فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت: من هذا..؟ فقالوا: هذا سعد بن عباد ، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجعٌ .

فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دفت دافّة منكم تريدون أن تخذلونا عن أصلنا وتحصونا من الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زوّرتُ مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحدة وهو كان أحكم مني وأوقر .

والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها بديهة وأفضل حتى سكت ، فقال: أما بعد.. فما ذكرتم من خير فأنتم أهله وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، فما أكره مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تغير نفسي عند الموت .

فقال قائل: أنا جزيلاها المحنك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ، فكثر اللغط وعلت الأصوات حتى خشنا الاختلاف .

فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر أباعك فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عباد .

فقال قائل منهم: قتل سعداً! فقلت: قتل الله سعداً.

قال عمر: أما وجدنا والله فيما حضرنا أمراً هو أرفق من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما نبايعهم على ما لا نرضى و إما نخالفهم فيكون فساد. فمن بايع أميراً على غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغره أن يقتلا.

- وكان عمر قد قال في سقيفة بني ساعدة بعد أن قالوا: منا أمير ومنكم أمير: يا معشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر..؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

وقال: يا معشر المسلمين ، إن أولى الناس بأمر نبي الله - ﷺ ثأفك أثنن إذهما في ألفكار ، وأبو بكر السباق الحسن.

وقال: تعلمون أن رسول الله ﷺ من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار الله ورسوله وأنصار خليفته.

* * *

البيعة

- صعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير بن العوام ، فدعا بالزبير ، فجاء ، فقال : قلت : ابن عمه رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ قال : لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله ، فقام وبايع .

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فدعا بعليٍّ ، فجاء ، فقال : قلت : ابن عم رسول الله وختنه علي ابتته أردت أن تشق عصا المسلمين..؟ قال : لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله ، فقام فبايع .

- ظهر علي على الناس وقال : أيها الناس إن رسول الله لم يعهد لنا من أمر هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن يستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله . ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عُمَرَ فأقام واستقام حتى مضى لسبيله حتى ضرب الدين بجرانه (دعمه ونصره) .

- وهكذا بايع علي بن أبي طالب من اليوم الأول ، ولم يكن علي يفارق الصديق في وقت من الأوقات ، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات ، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة .

- إلا أنه حصل من فاطمة الزهراء عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ، ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضي الله عنه من قول النبي ﷺ : «إنا معشر الأنبياء لا نورث مالا ، ما تركناه فهو صدقة» . فحجبها وغيرها من أزواجه عليه السلام ، وعمه ،

حجبهم عن الميراث بهذا النص الصريح . فسألته أن ينظر في صدقة الأرض التي بخير وفدك ، فلم يجبها ؛ لأنه رأى أنه حقاً عليه أن يقوم بجميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ وهو الصادق البار ، حتى ماتت . واحتاج علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يراعي خاطرها ، فلما ماتت رضي الله عنها بعد ستة أشهر من وفاة أبيها المصطفى عليه السلام ، رأى علي أن يجدد البيعة لأبي بكر التي بايع فيها قبل دفن الرسول عليه السلام .

- وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما كان خليفة وطعن ، ألا تستخلف علينا . ؟ فقال : ما استخلف رسول الله ﷺ ، فأستخلف؟! ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خير كما جمعهم بعد نبهم على خير .

- وكان الصديق رضي الله عنه قد خطب واعتذر إلى الناس ، وقال : ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية ، فقبل المهاجرون مقالته .

- وقال علي والزبير رضي الله عنهما : ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة ، وإننا نرى أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الغار ، وإننا لنعرف شرفه ، وإن رسول الله ﷺ أمره أن يصلي بالناس وهو حي ، وقول رسول الله ﷺ : «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» .

- وإن أحداً من الصحابة ليس لهم أن يفتتوا عليه (على رسول الله ﷺ) فيقدم غير من قدمه .

- وإن علياً رضي الله عنه ، يرد على الرافضة بزعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة له قوله : لو كان الأمر كما زعموا ، فقد ظن بالصحابة ، فقد نسبهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول عليه الصلاة والسلام ومضادتهم في حكمه .

ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلم يحتج به على الصحابة في إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم ، فإن لم يكن قادراً على تنفيذ ما في النص

فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للإمارة .

وإن كان يقدر على تنفيذه ولم يفعل فهو خائن ، والخائن الفاسق
مسلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يكن يعلم بوجود نص فهو جاهل ،
أو قد عرفه وعلمه من بعده فهذا محال وافتراء وضلال ! وهذا يكون في
أذهان الجهّال المغترين الذين يزين لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان بل
بمجرد التحكم والهديان .

* إن المعول الذي استخدم في تهديم صرح الإسلام الذي قالت به
السبئية كان يقوم على :

١ - اعتبار الإمامة (التي أعطوها قدسية وروحانية مطلقة) حق مفروض
لآل البيت ، واعتبار الأمة الإسلامية ملتزمة بهذا الفرض .

٢ - إدخال التأويل الباطن ، وتقسيم القول إلى باطن وظاهر ، وبذلك
قسم الدين إلى :

دين العوام (ظاهر) .

ودين الخواص (باطن) .

وإدخال الفساد باسم الباطن ، وبذلك تُقَوِّض دعائم الدين وتُستأصل
شأفته .

وبالتالي صارت هناك كتب سرية لمن يسمّون بأهل علم الباطن ،
وأخذوا ألقاباً خارجة عن الدين ، مثل : (الحجج ، الأبواب ، النجباء ،
النقباء ..) .

- تطور القول بالأفكار مع الزمن لتصبح الضلالات هي الأساس ويترك
الأصل ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ لِمَ تَلْبُسُوكَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
[آل عمران: ٧١] ، فغاب الحق بعد أن تلبّس بالباطل ، وبقي الباطل هو
الواجب اتباعه .

فأضيف إلى الحق أن الشمس تستحق التقديس عند شروقها وغروبها .
ومن ثم تطورت الإمامة فصارت ألوهية ، والأئمة انتقلوا من العصمة وعلم

الغيب إلى الألوهية. وكذلك أصبحت الشمس محل العبادة ﴿لَا تَسْجُدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾
[فصلت: ٣٧].

- وهكذا فإن تاريخ المذاهب يرمز إلى المغالين الذين تأسست منهم
المذاهب. فابن سبأ: الذي غالى في علي واعتبره إلهاً ، تبرأ منه علي وأمر
بقتله.

أما الإمام جعفر الصادق ، فقد تبرأ ممن تلاعبوا وتفرقوا في صفوف
الشيعة ، مثل: أبي الخطاب المجوسي ، الذي يُمْتُ بصلة قري لأحد كهان
اليهود في البصرة ، الذي تلاعب بولد محمد بن الحنفية (إسماعيل) تبرأ منه
ومن ولده إسماعيل ونزع منه ولاية العهد.

- وكذلك قداح الميمون ذو الأصول اليهودية ، كان أصل كل رواية
باطنية ، وواضع المبادئ القرمطية. ومثله المفضل الغفي ، مؤسس الفرقة
المفضلة الغالية ، وأساس كل رواية باطنية. وكذلك محمد سنان بن خازن
من أهل علم الباطن ، ومؤسس الفرقة السنانية.

* * *

آل البيت

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٣٣].

واجب كل مسلم معرفة فضل آل البيت وتوقيرهم ومحبتهم؛ لأنه فريضة بعد الفريضة، بل الواجب التعرف عليهم والاهتمام بهم وصلاتهم تقتضي معرفة الله وكرامة لرسول الله ﷺ على الله وكرامة لآل البيت على الله ورسوله، والمستند لذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]، (قراية الرسول ﷺ).

وقول رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعم، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي». (الترمذي).

وقوله ﷺ: في خطبته في غدیر خم بعد أن حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أيها الناس إنما أنا مبشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين» (الأمرين العظيمين) «كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: فيه النور والهدى فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، ثم قال: وأهل بيتي... أذكركم الله في أهل بيتي». (مسلم).

- أما آل بيته فهم آل:

١ - علي وفاطمة لما ورد في الأثر أنه لما نزلت آية المباهلة ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً

وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» (مسلم).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مِرْطٌ (كساء - عباءة) من خز وصوف مُرَحَّل من شعر أسود فجاء الحسين بن علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ، فقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وفي رواية الترمذي أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة وحسين وحسين: «أنا حرب على من حاربكم وسلم على من سالمكم».

ولما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أي الناس أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة. فقليل من الرجال.؟ قالت: زوجها (كان - ما علمت - صواماً قواماً) (الترمذي).

وفي الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «استأذن ملكٌ ربّه ما كان ينزل إلى الأرض قط ليسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

٢ - آل جعفر بن أبي طالب - وكان ﷺ يحبه ويكنيه بأبي المساكين لمحبة جعفر للمساكين. وقال عنه: «رأيت جعفرأ يطير في الجنة». وعند فتح خيبر وقدم جعفر من الحبشة (عودته من الهجرة) قال: «لا أدري بأيهما أفرح.؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر».

٣ - آل العباس - وقد دخل العباس على رسول الله ﷺ مرة مغضباً ، فقال له رسول الله ﷺ: ما أغضبك.؟ قال: يا رسول الله ما لنا ولقريش (بني هاشم وباقي قريش) إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مُبْشِرة (عليها البشر) ، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك. فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله» ، ثم قال: أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل

صِنُوْهُ أَبِيهِ . وقال مرة : العباس مني وأنا منه . (الترمذي) . وباختصار آل البيت : الذين لا تجوز عليهم الصدقة .

- ومن جهة أخرى فقد جمع رسول الله ﷺ قريشاً فقال : هل فيكم غيركم ؟ قالوا : فينا حليفنا وابن أختنا وموالينا . فقال ﷺ : «حليفنا منا وابن أختنا منا وموالينا منا ، إن أوليائي منكم المتقون» .

- ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن ، خرج معه يوصيه فقال : «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» فبكى معاذ حزناً لفراق رسول الله ﷺ . ثم التفت فأقبل بوجهه إلى المدينة فقال : «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» .

- علي بن أبي طالب :

هو علي بن أبي طالب الخليفة الراشد رابع الخلفاء ، وابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من أسلم من الغلمان ، ولم يسجد لصنم .

قال لأهل العراق : اللهم كما أمتهم فخافوني ونصحت لهم فغشوني . . سلط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال يأكل خضرتها ويلبس فروتها ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفَرْقُ ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وقال مرة لرجل غدر به : لا تمت حتى تدرك فتى ثقيف ، قال : وما فتى ثقيف ؟ ، قال : يقال له يوم القيامة : اكفنا ركناً من أركان جهنم^(١) .

- بويج بالخلافة بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين . وفي الأثر : فيك من عيسى بن مريم مثلان : أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبه النصارى حتى أنزلوه بمنزل ليس هو له . وعنه رضي الله عنه : هلك فيّ اثنان : محب غالي ، ومبغض قالي ، إلا أنني لست بنبي

(١) المقصود به الحجاج بن يوسف الثقفي .

ولا يوحى إليّ ولكني أعمل بكتاب الله وسنة رسوله .

- زوجاته :

١ - فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، ولدت له الحسن والحسين ومحسناً (مات صغيراً) ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم (تزوج بها عمر بن الخطاب). ولم يتزوج على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. توفي عن أربع زوجات ، وتسع عشرة سرية .

٢ - أم البنين : (بنت حرام وهو المحل بن خالد بن ربيعة بن عامر بن كلاب) ، ولدت له العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان (وقد قتل هؤلاء الأربعة مع أخيهما الحسين في كربلاء) ، ولا عقب لهم سوى العباس .

٣ - ليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم ، ولدت له : عبد الله وأبا بكر (قتلا في كربلاء) ، وعند الواقدي أن عبد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار .

٤ - أسماء بنت عميس الخثعمية : ولدت له يحيى ومحمداً الأصغر (عند الواقدي : هو من أم ولد).

٥ - أم حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد بن علقمة (وهي أم ولد من السبي من بني تغلب) ، ولدت له عمر (عاش ٣٥ سنة) ، ورقية .

٦ - أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك ، ولدت له : أم الحسن ، ورملة الكبرى .

٧ - ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبيّة ، ولدت له جارية كانت تخرج معه ، يسألونها : من أخوالك ، فتقول : وه وه (تعني بني كلب) .

٨ - أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ ، ولدت له محمداً الأوسط .

٩ - خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد الله بن ثعلبة الحنفية ،

سباها خالد بن الوليد أيام الردة (أيام الصديق) ، فصارت لعلي ، ولدت له محمد بن الحنفية الأكبر .

- أما أولاده الذين لا يعرف أسماء أمهاتهم: أم هانئ ، ميمونة ، زينب الصغرى ، رملة الكبرى ، أم كلثوم الصغرى ، فاطمة ، أمامة ، خديجة ، أم الكرام ، أم جعفر ، أم سلمة ، حمّانة . ومجموع الأولاد الذكور: أربعة عشر ، والإناث: سبع عشرة .

والنسل الذي يعتبر لآل البيت هو: الحسن ، والحسين ، ومحمد ابن الحنفية ، والعباس ، وجعفر رضي الله عنهم أجمعين .

- الحسن بن علي :

سيد شباب أهل الجنة هو وأخوه الحسين رضي الله عنهما ، وريحاننا نبي هذه الأمة ﷺ ، آل بيت رسول الله ﷺ مع والدهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووالدتهم فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله ﷺ ، أهل العبادة الذين وضعهم رسول الله ﷺ تحت العبادة ، وقال : «اللهم هؤلاء أهلي» وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وهم الذين باهل بهم رسول الله ﷺ نصارى نجران عندما دعاهم رسول الله ﷺ للمباهلة في عيسى عليه السلام ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١] .

- بعد أن تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما ، خطب بحضور معاوية ، فقال: أيها الناس لو اتبعتم بين جاليق وجابرس رجلاً جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه . . ثم قال: لقد أعطينا بيعتنا لمعاوية ، ورأينا حقن دماء المسلمين خيراً من إهراقها ، والله ما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

وسمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين .

كان يقول: أطمعت نفسي في الجنان فطمعت ، وأطمعتها في النجاة من النار فطمعت ، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد لذلك سبيلاً ، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ، فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم . ويقول: ثلاثة لا تحرم عليك غيبتهم: المجاهر بالفسق ، والإمام الجائر ، وصاحب البدعة .

كما كان يقول: إن المؤمنين أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه من سمعه وبصره ولسانه وفي جوارحه كلها ، ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما معاً ، وباع آخرتك بدنياك تخسرهما معاً .

- الحسين بن علي رضي الله عنهما: شهيد كربلاء ، ابن بنت رسول الله عليه السلام .

كان الحسن أشبه برسول الله ﷺ خلقاً ، والحسين أشبه بعلي خلقاً ، وكان الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر ، وشبه الحسين برسول الله ﷺ من دون الصدر إلى الأسفل ، وعن رسول الله ﷺ: «الحسن له هيبتي وسؤددي ، أما الحسين له جرأتي وجودي» .

صحب أباه في مغازيه وروى عنه ، ولم يزل في طاعته حتى قتل ، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح معاوية شق عليه ذلك ، ولم يسدد رأي أخيه ، ولما استقرت الخلافة لمعاوية كان هو وأخوه يترددان إلى معاوية فيكرمهما ويقول لهما: أهلاً ومرحباً ، حتى توفي الحسن ، واستمر الحسين على ذلك ، وكان الحسين في جيش معاوية الذي حاصر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية سنة ٥١ للهجرة .

- محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ابن الحنفية:

هو أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، معروف بابن الحنفية من بني الحنفية ، كان من الناصحين لأخيه الحسين بعدم الذهاب للكوفة ، وحذره

من غدر شيعة العراق وخذلأنهم المعهود ، وقال : إن القوم إنما يريدون أن يأكلونا ويشيطوا دماءنا .

ولم يؤثر عنه أنه كان داعياً للخروج أو إلى فتنة أو للقدوم على الأمراء وأخذ عطاياهم ، وهو لم يبايع ابن الزبير ، ولما استقر الأمر لعبد الملك وبايعه ابن عمر تابعه و قدم المدينة وبقي فيها إلى أن مات ، ودفن بالبقيع سنة ٨٠ للهجرة ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يقول : أما بعد فإني لما رأيت الأمر يختلف فيه ، اعتزلت ، فلما أفضى الأمر إليك وبايعك الناس كنت كرجل منهم ، فقد بايعتك وبايعت الحجاج لك ، ونحن نحب أن تؤمننا وتعطينا ميثاقاً على الوفاء ، فإن الغدر لا خير فيه .

وتقول الرافضة : إنه بجبل رضوى حيّ يرزق ، وهم ينتظرونه ويقولون بإمامته وينتظرون خروجه بآخر الزمان ، كما ينتظرون الحسن بن محمد العسكري الذي يخرج من سرداب سامراء .

- الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم :

سأله رجل من الرافضة : ألم يقل رسول الله ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه .. ؟ فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس وقال : أيها الناس ، اعلموا أن هذا ولي أمركم بعدي وهو القائم عليكم فاسمعوا وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله ﷺ اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه علي لكان أول من ترك أمر الله ورسوله ﷺ .

ثم قال : والله لئن ولّينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا نقبل منكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا . . ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه لرسول الله ﷺ ، لو كان الأمر كما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يعلمونا بذلك قد ظلمونا وكتموا عنا أفضل الأمور ، والله إنني لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين كما أن يكون للمحسن منا له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أطعنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (زين العابدين): رضي الله عنهم أجمعين.

كان أفضل بني هاشم ، أمه بنت يزيد جرد ملك الفرس ، سبيت مع أخواتها في عهد عمر بن الخطاب ، فوزعهن : واحدة لعبد الله بن عمر (ولدها سالم) ، والثانية لمحمد بن أبي بكر (ولدها القاسم) ، وأخرى للحسين بن علي (ولدها علي زين العابدين).

كان يقول: أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً ، لما قتل والده الحسين رضي الله عنه خلف على مولاة أبيه (أمه) مولاه زيداً فأولدها علي بن زيد أخوه الأصغر ، والأخ الأكبر مات مع والده رضي الله عنهما .

لم يكن للحسين عقب إلا من ولده هذا علي بن الحسين وهو (الحسين) لم يكن له عقب إلا من ابن عمه الحسن .

كان يقول: إنا أهل بيت نطيع الله فيما يحب ونحمده فيما نكره .

- محمد بن علي بن الحسين (زين العابدين أبو جعفر):

كان يقول: ما من عبادة أفضل من عفة في بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله تعالى من أن يُسأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً هو البر ، وما اغرورقت عين عبد بمائها إلا حرم وجه صاحبها على النار .

- زيد بن الحسين رضي الله عنهما:

خرج في الكوفة فبايعه قسم من أهلها ، واجتمع عليه الشيعة فسألوه: ما قولك يرحمك الله في أبي بكر وعمر؟ فقال: غفر الله لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً . . ، قالوا: فلم تطالب إذا بدم أهل البيت؟ فقال: إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ، ولكن

القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا كفراً ، وقد ولوا وعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة .

قالوا: فلم تقاتل هؤلاء إذا؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام وإحياء السنن وإماتة البدع ، فإن تسمعوا يكُ خيراً لكم ولي وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل .

فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهذا سُمُّوا الرافضة (الرافضة له رضي الله عنه) ، ومن تابعه على قوله سُمُّوا الزيدية .

- عبد الله المهدي بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنهم :

كتب إلى المنصور: إني أعرض عليك الأمان مثلما عرضت علي فأنا أحق بالأمر منكم وأنتم وصلتم إليه بنا ، فإن علياً كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ونحن أشرف أهل الأرض نسباً..؟

ثم أجابه أبو جعفر على كتابه: أما قولك: بنو رسول الله أنتم ، فالله تعالى قال: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقد مرض رسول الله ﷺ وأبوك حاضر ولم يأمره بالصلاة بل أمر غيره ولما توفي رسول الله ﷺ لم يعدل بأبي بكر وعمر أحداً.. ثم قدموا عليه عثمان في الشورى والخلافة.. ثم صارت إلى الحسن فباعها وأقام بالحجاز.. ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، ثم خرجتم على بني أمية حتى قتلوكم وحملوا نساءكم على الإبل كالسبايا حتى خرجنا عليهم وأخذنا بثأركم ، ولما قحط الناس زمن عمر استسقى بأبينا العباس وتوسل إلى الله وعلي حاضر .

* * *

الغلو

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٧١] ، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] .

كذلك ما كان عليّ إلهاً ولا نبياً ولا وصياً ولكن عبد الله وابن عم رسول الله ﷺ وأحد أولياء الله ، البار الصالح ومن آل بيت رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة وما كان أعلم بكتاب الله وبأسماء الله وبصفاته من رسول الله ﷺ ، ولكن كان أحد المبشرين بالجنة والذين اختارهم الله لصحبة رسوله ﷺ ، والذي قال فيه رسول الله : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» .

- كيف يغالي فيه الناس ولا يتبعون ما جاء في كتاب الله من مكانة الله ومكانة الرسل ، وأنه لا يكون لبشر مكانة فوق مكانة الأنبياء الذين اختارهم الله لهداية عباده وإبلاغهم رسالته عن طريقهم ، وإن الغلو كفر بالله وعدم تقديره حق قدره .

- فلا عليّ رضي الله عنه له أن يتعدى مكانته فوق الرسل ولا لشيوخ الطرق أهل المجاهدات أن يصلوا برياضتهم لمكانة الرسل وليلزم كل إنسان حدّه ولا يتعدى طوره ، فليست الأمور بالأحلام ولكن بالالتزام بما جاء بالكتاب وبما بينه رسول الله ﷺ .

- ولا آل البيت معصومون ، ولا الصحابة معصومون وما ورد :

«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ، ليس له أصل ولا حديث .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

- رسول الله وخاتم النبيين ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدي» .

- والتولي بالوصي لا أساس له .

- من كنت مولاه فعلي مولاه ، ليس معناه ولي الله إنما هو يتولى الله والله يتولاه .

- وقول الرسول ﷺ: أخوف ما أخاف على أمتي رجل منافق طلق اللسان غير حكيم القلب ، يغريهم بفصاحته وبلاغته وبيانه ويضلهم بجهله ، يقصد به الذي يدعو للبدعة أو الغلو أو الأهواء والتفلت من ميزان الكتاب والسنة .

* * *

اقتتال طائفتين من المؤمنين

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]

بعد استقرار دولة الإسلام لم يرق ذلك لأهل الباطل والذين كانوا يعيشون في ظله ، فأخذوا بالتلبس بلباس الغيرة عليه وكان سلاحهم الإيقاع بين الصحابة والخليفة ، فقاموا يذكرون بعض الصحابة بخير والخليفة بسوء (كعثمان رضي الله عنه) ويذكرون غيره بالتعظيم (كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) وذلك لشق الصف وعمل التفرقة ، ويظهر هذا في عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وحمل في حناياه تدميره وأخذ يجمع الجموع ويحيك المؤامرات ، فقد نزل بمصر على كنانة بن بشر مرةً وعلى سودان بن حران مرة أخرى وانقطع إلى الغافقي الذي شجعه فتكلم وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن مريرة فصرف لهم القول وقال: عليكم بناب العرب (يقصد عمرو بن العاص أمير مصر) ولسنا من رجاله ، فأروه أنكم زرعتم ولا تزرعوا العام شيئاً حتى تنكسر مصر فتشكونه للخليفة فيعزله عنكم ونسأل من هو أضعف منه ونخلو بما نريد ونظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا تألبت الأمصار على الأمراء ، وتألبت الجهلة على الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه حتى جمعت الأوغاد والجهال في أطراف المدينة وحاصروا الخليفة عثمان رضي الله عنه .

- هذا الخليفة الذي أعطاه الرسول ﷺ صفة الحياء عندما أعطى لكل صحابي صفة خاصة به متميزاً بها.

فلم يكن رضي الله عنه حازماً مع الذين ثاروا عليه وحاكوا له المؤامرات وألبوا الناس عليه وحاصروه في داره أو حصبوه على المنبر ، مع أن كبار الصحابة كانوا على استعداد لنصرته ، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر أولاده بحراسته ، كما سألته أن يأمره بشيء ، فلم يرغب بشيء .

إذ كان يريد بحلمه ولينه أن ينهي الفتنة ويطلب من الذين يحاصرونه أن يحددوا ما يريدون وأن يستتبوه ويخرج إليهم ويقول: والله إن قتلتموني فلن تجتمعوا بعدي ولا تقاتلون بعدي ، وهو يعلم أنه سيقتل شهيداً؛ لحديث الرسول ﷺ عندما وقف هو و أبو بكر وعمر وعثمان على أحد فاهتر الجبل فقال الرسول ﷺ: «اثبت أحد إنما عليك نبي وصديق وشهيدان» .

ودام الحصار على الخليفة وهو يريد حل الأمر بالحسنى ، وكانت الصحابة تطلب منه أن يسخرها لمساعدته فيرفض .

فقد دخل عليه أبو هريرة وكذلك عمر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم يريدون أن يدافعوا عنه ، فشكرهم وطلب منهم الكف .

والغريب أن دعوى أهل الكيد والضلالات ومؤامراتهم قد انطلت على بعض أبناء الصحابة كمحمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وغيرهم . فساروا بأفكار عبد الله بن سبأ بعداء الخليفة ، حتى استشهد أمير المؤمنين وهو يقرأ القرآن .

وكان رسول الله ﷺ قد قال له: «يا عثمان إن الله كساك قميصاً فأرادك الناس على خلعهم فلا تخلعه ، فو الله لئن خلعت لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» .

لقد كانت مدة حصاره في داره أربعين يوماً ، وهم يطلبون أن يخلع لهم أمرهم وإلا هم قاتلوه . . فكان أول من اجترأ عليه بالنطق السيئ جيلة بن عمرو الساعدي ، إذ مر عليه وبيده جامعة فقال له: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتركبن بطانتك هذه .

فدخل عليه أولاً محمد بن أبي بكر؛ لقتله فأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص^(١) معه فوجأ بها في حلقه فقال له: مهلاً يا ابن أخي فلقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذه ، فخجل وانصرف ، ثم دخل عليه عثمان بن أسود بن حمران ، ضربه بحربة وييده سيف صلت ثم جاء به فضربه في صدره ثم أقعصه ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكأ عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة زوجة عثمان دونه فقطع السيف أصابعها .

حمل النعمان بن بشير قميص عثمان الملطخ بالدماء وعليه أصابع نائلة زوجته ودخل به إلى معاوية الذي وضعه على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص وتباكى الناس وقام يحرض الناس على الثأر ثم ندبهم معاوية للأخذ بثأر الدم وصاحبه من أولئك القوم .

البيعة لعلي بالخلافة :

عليّ - رضي الله عنه - الخليفة دون منازع بعد عثمان ، دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة وطالبوه بإقامة الحدود والأخذ بدم عثمان ، فاعتذر إليهم بأن القتلة من قبائل شتى ولهم مدد وعون ولا يمكنه ذلك في يومه هذا إلا بعد أخذ بيعة الأمصار .

وطلب منه الزبير أن يوليه الكوفة؛ ليأتيه بالجند ، وكذلك طلب طلحة أن يوليه البصرة؛ ليأتيه بالمدد فيقوى على شوكة هؤلاء الخوارج أمراء الأمصار ، وأقبلت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - من مكة (إذ كانت في الحج) ، ونهاه ابنه الحسن عن الخروج عندما خرجت عائشة وحفصة وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - حتى يصطلحا فلم يقبل ، وكما نهاه قبلاً أن لا يطلب البيعة بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - حتى يبعث إليه أهل كل مصر ببيعتهم . وهي ثابتة له ولكن لا بد من ذلك .

- التحرك لملاقاة المطالبين بالثأر لدم الخليفة عثمان :

لم يرض أهل المدينة الخروج معه وقال له الحسن: دع عنك قتال أهل

(١) أداة جراحة .

الشام فإن فيه سفك دم المسلمين ، ولم يرض ورتب الجيش وجعل اللواء مع ابنه محمد بن الحنفية ، وابن عباس على الميمنة ، وعمرو بن أبي سلمة على الميسرة ، وعلى المقدمة أبو ليلي بن عمر بن الجراح ابن أخ أبي عبيدة ، وكانت القوات من المدينة تسعمائة مقاتل ، ولقيه عبد الله بن سلام ونصحه بعدم الخروج .

وكان القوم أربعة أصناف :

- علي رضي الله عنه بمن معه ظاهر الكوفة .

- طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين بالبصرة .

- معاوية بالشام .

- فرقة بالحجاز لا تقاتل ولا يعينها الأمر وهي خير الفرق ، وذلك لحديث الرسول الكريم ﷺ الذي أمر فيه المكروه في قتال الفتنة بكسر سيفه وأن عليه ألا يقاتل ولو قتل . بل أمر بما يتعذر معه القتال من الاعتزال أو إفساد السلاح الذي يقاتل به ، وإن قتل مظلوماً فقد باء القاتل بالإثم . الحديث .

- ستكون فتن الإثم ستكون فتن الإثم ستكون فتن الإثم ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ، وإلا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه ، فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض . . ؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق حده ، ثم لينج إن استطاع النجاة . قال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي أحد إلى أحد الصفيين أو إلى إحدى الفئتين فضر بني أحد بسهمه أو سيفه فقتلني . . ؟ فقال : (يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار) .

- ولما أرادت عائشة - رضي الله عنها - أم المؤمنين الخروج من البصرة أرسل إليها أمير المؤمنين بكل ما ينبغي من مركب وزاد وأذن لمن جاء معها

أن يرجع ، واختار لها من نساء البصرة أربعين امرأة من المعروفات وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر.

وبعد أن فرغ أمير المؤمنين من موقعة الجمل (الذي يحمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها): جاء وجوه الناس يسلمون على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، وأقام أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - بظاهر البصرة بعد أن قُتل عدد من كل فريق يقدر بالآلاف رحمهم الله ورضي عنهم جميعاً ، ومنهم طلحة والزبير ، فلم يُحِلَّ غنائم أموال المعارضين ولا غَنِم هو منهم بل قسم أموال بيت المال في البصرة ، فقام السبيون (جماعة عبد الله بن سبأ) فنالوا منه ، فأخذ ابن عباس في جمعهم وسمع منهم رأيهم ومزاعمهم ومخالفتهم الشرع ، فعاد قسم كبير منهم إلى حظيرة أمير المؤمنين ، وبقي قسم خارجين نحو الألفين قاتلهم أمير المؤمنين بعد.

وهكذا قضى أمير المؤمنين على الفتنة وانتهت معركة الجمل ، وعندها تحول إلى الشام؛ ليأخذ بيعة معاوية وتنتهي الفتنة ، فلما سمع معاوية بمقدمه جهز جيشاً اتجه إلى جهة الفرات وتلاقى الجيشان في صفين وجرى الاقتتال .

* * *

من تورط في الفتنة

معاوية رضي الله عنه (وكان أحد الطائفتين).
وعمر بن العاص رضي الله عنهما (وكان مع معاوية).
والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه (وكان قد اعتزل).
قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهم (كان مع علي).
وعبد الله بن بديل بن ورقاء رضي الله عنهم (كان مع علي).
- معاوية بن أبي سفيان :

هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (صخر بن حرب) بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أسلم قبل عام الفتح وكتب إسلامه عن أبيه ، وفي عام الفتح أسلم أبوه وأمه هند .

كان ذا خلقٍ وقوراً رئيساً سيداً في الناس كريماً عادلاً شهماً ، قالت أمه : ثكلته أمه إن لم يسُد ، كتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كُتَّاب الوحي ، ولما فتحت الشام ولاء عمر نيابة الشام بعد أخيه يزيد (أخ معاوية من غير أم) ، وكانت أم معاوية تقول لأبي سفيان : ابنك يزيد تبع لابني معاوية ، ولما توفي يزيد قال أبو سفيان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : من وليت مكانه يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : معاوية ، قال : وصلت رحماً .

وقالت له أمه : يا بني : قلّ أن تلد النساء أمثالك ، وإن هذا الرجل (الخليفة عمر) قد استنهضك في هذا الأمر فاعمل بطاعته فيما كرهت وأحببت .

وقال له أبوه: يا بني إن هذا الرَّهْط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا
فرَفَعَهُمْ سَبْقُهُمْ عند الله وعند رسوله ﷺ وقَصَّرَ بنا تأخيرنا فصاروا قادة
وسادة وصرنا أتباعاً وقد وَلَّوكَ من أمورهم فلا تخالفهم ، فإنك تجري إلى
منافس فإن بلغته أورثه عقبك.

قال أبو سفيان: يا رسول الله ، ثلاثة أَعْطَيْنِيهِمْ ، قال: نعم.

قال: تأمرني أن أقاتل الكفار كما كنت قد قاتلت المسلمين ، قال:
نعم.

قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال: نعم.

قال: وقد أراد أن يزوج رسول الله من ابنته عزة أخت أم حبيبة فاستعان
بها على ذلك ، فقال عليه السلام: إن ذلك لا يحل لي.

- وفي الأثر: قال عليه السلام لمعاوية: «كيف لك لو قمَّصك الله
قميصاً» (يعني الخلافة) فقالت أم المؤمنين أم حبيبة أخته: يا رسول الله ،
ادع الله له ، فقال: «اللهم اهْدِهِ بالهدى وجَنِّهِ الردى واغفر له بالآخرة
والأولى».

وعندما تولى الخلافة عثمان بن عفان أقره على الشام ، فبنى في دمشق
القبة الخضراء وسكن فيها أربعين سنة ، ولما قتل عثمان لم يبايع أمير
المؤمنين علياً حتى يسلمه قتلة عثمان ؛ لأنه قتل مظلوماً ، لقوله تعالى:
﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ، ومعاوية هو ولي
عثمان ، وقد ولي معاوية الملك متأولاً هذه الآية.

إن أحداً لم يتهم معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم بالدين ، وأن
عمرو بن العاص لما بايع رسول الله ﷺ اشترط أن يغفر الله له ، فقال له
رسول الله ﷺ: أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد قدم طوعاً
للإسلام بعد صلح الحديبية.

- ليس من المهاجرين أحد منافقاً ، ولكن دخل النفاق في الأنصار أهل
المدينة ، أما أهل مكة فكانوا إما كفاراً أو مسلمين . . وإن معاوية وعكرمة

والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، كل هؤلاء لم يتهم أحد منهم بنفاق ، وكان عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة الثالث والرابع من القادة الذين كان خالد بن الوليد أميرهم المطلق .

وعمر الذي كان أعظم الناس فراسة وخبرة بالرجال ، وأقومهم للحق وأعلمهم به ، هو الذي ولى معاوية الشام ، وقد قال عنه رسول الله ﷺ : «إن الله ضرب الحق على لسان عمر» ، وقال : «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر» . وقال علي رضي الله عنه : إن السكينة تنطق على لسان عمر .

ولما تخوف عمر من أهل الردة وأعادوهم إلى الإسلام منعوهم من ركوب الخيل وحمل السلاح حتى تظهر صحة توبتهم ، وكان فيهم أمراء مثل : طلحة الأسدي ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، والأشعث بن قيس الكندي ، وأمثالهم . . . ومع ذلك لم يشاورهم في أمر . فلو كان عمرو بن العاص ومعاوية ممن يتخوف منهم نفاقاً لما وُلُّوا على المسلمين .

بل إن عمرو بن العاص ولاه رسول الله ﷺ في غزوة ذات السلاسل ، ولم يول رسول الله ﷺ منافقاً ، كما اتفق العلماء على أن إسلام معاوية خير من إسلام أبي سفيان الذي كان نائباً لرسول الله ﷺ عندما مات على نجران .

فكيف يكون هؤلاء منافقين والرسول ﷺ يأمنهم على أحوال المسلمين في العلم والعمل ، ولم يتهمهم أحد بالكذب على رسول الله ﷺ؟! بل إن جميع الصحابة متفقون على أن هؤلاء صادقون ، والمنافق غير مؤتمن من النبي ﷺ بل هو كاذب عليه مكذب به .

وإذا كانوا مؤمنين فمَنْ سبَّهم فقد عصى الله ورسوله ﷺ ، أما العصمة فهي فقط للأنبياء ، وهؤلاء ليسوا معصومين من الذنوب المُحَقَّة ، أما في الاجتهاد : فتارة يخطئون وتارة يصيبون .

وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين ، فتارة يغالون فيهم فيقولون: إنهم معصومون (كما قالوا عن علي بن أبي طالب) ، وتارة يجافون عنهم ويقولون: إنهم باغون.

ومن هذا الباب تولد كثير من البدع والضلالات ، فمنهم من سب السلف ولعنهم ؛ لاعتقادهم أنهم فعلوا ذنباً ، بل ويفسقونهم ويكفرونهم ، كما فعلت الخوارج في عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ومن تولاهما ولعنوهما واستحلوا قتالهما ، قال رسول الله ﷺ فيهم: «يمرق أحدهم من الدين كالسهم من الرميّة تستحقرون صلاتكم أمام صلاتهم».

وقال عليه السلام: «تمرق مارقة على فرقة من المسلمين فتقاتلها أولى الطائفتين لأجل الحق.. وهؤلاء الذين مرقوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وكفّروا كل من تولاه قد افترقوا فرقتين واحدة مع علي رضي الله عنه والأخرى مع معاوية ، فقاتل هؤلاء علياً وأصحابه ، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَلِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..﴾ [الحجرات: ٩] ، وقال الرسول عليه السلام في الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا سيد وسيصلح بين طائفتين عظيمتين من المسلمين». وهكذا أصلح بين شيعة علي وشيعة معاوية عندما بايع معاوية.

كما تبين أن قتال أهل صفين لم يكونوا كالخوارج المارقين الذين أمر بقتالهم ، بل إن هؤلاء مدح الصلح بينهم ولم يأمر بقتالهم. ولهذا كانت الأمة وكان الصحابة متفقين على قتال الخوارج ، وظهر من علي رضي الله عنه السرور بقتالهم ، وأما اقتتال الطائفتين فقد برأهما الله من الكفر وأثبت لهما الإيمان.

ومعاوية لم يدع الخلافة ولم يبايع بها عند قتاله لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولم يقاتله على أنه خليفة وإلا لكان من البغاة ، كما لم يقاتله لأنه يرى في نفسه أنه يستحق الخلافة ، بل كان يقر بذلك لمن سألوه.

وإن علياً كان يرى أنهم أهل شوكة وعليهم طاعته ومبايعته إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد ، وأنهم خارجون عن طاعته فرأى قتالهم حتى تحصل الطاعة والجماعة .

ومعاوية كان لا يرى أن عليه ذلك وأنهم قوتلوا على ما كانوا مظلومين ؛ لأن عثمان قُتل مظلوماً باتفاق المسلمين ، وقتلته هم في عسكر علي أمير المؤمنين ولهم شوكة ، فإذا امتنعنا عن المطالبة ظلمونا واعتدوا علينا ، وعلي لا يمكنه دفعهم .

وكان في كلا الفريقين جهالٌ يظنون بعلي وعثمان رضي الله عنهما الظنون الكاذبة برأ الله منها علياً وعثمان ، فقد كان من يظن بعلي أنه أمر بقتل عثمان ، وكان علي يحلف وهو الصادق البار بلا يمين أنه لم يقتله ولم يأمر بقتله ، ولم يمالئ على قتله ، وكان أناس من محبي علي ومبغضيه يشيعون ذلك عنه ، فالذين يحبونه يقصدون في ذلك الطعن في عثمان بأنه كان يستحق القتل وأن علياً أمر بقتله .

وأما مبغضوه ، فيقصدون الطعن بعلي ، وأنه أعان على قتل الخليفة المظلوم الذي صبر نفسه ولم يسفك دم المسلمين ، والجميع يعلم أن معاوية ليس كعلي بالخلافة وأنه لم يكن من أهل الشورى غيره وسعد كان قد ترك الأمر منذ مبايعة عثمان ، فقوي أهل العدوان وضعف أهل الإيمان .

- أما الحديث الذي فيه أن عماراً تقتله الفئة الباغية «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية» فلا ينافي ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى . . ﴾ [الحجرات: ٩] ، فقد أقر الله لهم بالإيمان ولا يستوجب لعناً وخاصة إذا كان الباغي متأولاً مجتهداً .

وقرر العلماء أن قتال البغاة ؛ لدفع ضررهم لا عقوبة لهم كما يمنع الصبي والمجنون من البغي . ومن قتل مؤمناً خطأ فالدية ، والبغي تزول عقوبته بالتوبة .

- وقد كان في العسكر من لم يرض بقتله رضي الله عنه كعبد الله بن

عمرو بن العاص وغيره ، بل كل الناس حتى معاوية .

- وإن هذا القتال هو قتال فتنة والقعود في الفتنة خير من الخوض فيها .
ومن قُتل في الباطل وهو لا يستحق القتل : فهو شهيد .

- المغيرة بن شعبه :

من دهاة العرب وذوي آرائها ، أسلم عام الخندق بعدما قتل ثلاثة عشر
من ثقيف عند رجوعهم من عند المقوقس وأخذ أموالهم فغرم دياتهم
عروة بن مسعود ، شهد الحديبية وكان واقفاً في الصلح على رأس
رسول الله ﷺ بالسيف .

وبعثه رسول الله ﷺ مع أبي سفيان بن حرب بعد إسلام أهل الطائف
فهدما اللات ، وبعثه الصديق إلى البحرين ، وشهد اليمامة واليرموك ،
وكان رسول سعد إلى رستم فكلمه كلاماً بليغاً ، واستنابه عمر على البصرة
ثم الكوفة ، وجاء عثمان فثبته حيناً ثم عزله ، ثم التحق بمعاوية ، وكان
من رأيه في التحكيم ورفع المصاحف ، ثم بعد مقتل علي أمير المؤمنين
ومصالحة الحسن لمعاوية دخل الكوفة وولاه عليها معاوية حتى مات .
وكان فيه حلم وأناة .

- عائشة أم المؤمنين :

زوجة رسول الله ﷺ وأحب أزواجه إليه بعد خديجة رضي الله عنها ،
ابنة صاحبه الصديق رضي الله عنه ، المبرأة من فوق سبع سماوات ،
أسقطت من رسول الله ﷺ سقطاً فسماه عبد الله ، وكنيت بأُم عبد الله باسم
ابن أختها عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم ، وأجمع العلماء على
تكفير من قذفها بعد براءتها ، توفي رسول الله ﷺ في بيتها ويومها بين
سَحَرِها ونَحَرِها وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعات عمره عليه
السلام ، ودفن في بيتها ، ورد في الأثر : «إِنَّ لَيْهَوْنَ عَلِيٍّ أَنْ أَرَى بَيَاضَ
كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ» ، وهي أعلم النساء على الإطلاق وأفقههن ، وأحسن
الناس رأياً ، فكان أشياخ أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها ، وثبت في

«صحيح البخاري» أن النبي ﷺ قال لها يوماً: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى.

ولما جاء عمار يستصرخ الناس ويستفزهم لقتال طلحة والزبير أيام الجمل، صعد هو والحسن بن علي على منبر الكوفة، فقام عمار ينال من عائشة رضي الله عنها، فقال له: اسكت مقبوحاً منبوذاً والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم؛ ليعلم إياه تطيعون أو إياها. توفي عنها رسول الله ﷺ وعمرها ثمانية عشر عاماً، وتوفيت وعمرها سبعة وستون عاماً. والأحاديث في فضائلها ومناقبها كثيرة.

دخل عليها ابن عباس عند الموت، فأذنت له، فقال لها لما جلس: أبشري، فقالت: بماذا؟ فقال: فما بينك وبين أن تلقي محمداً رسول الله ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء فأنزل الله آية التيمم فكان ذلك في سببك وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء بها الروح الأمين، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لو ددْتُ لو كنت نسياً منسياً.

دفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر.

طلحة بن عبيد الله:

ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض لكرمه وكثرة جوده، أسلم قديماً على يد أبي بكر الصديق، هاجر، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرأ فإنه كان بتجارة بالشام فضرب له رسول الله ﷺ بسهم. ويوم أحد كانت له اليد البيضاء، وشلت يده، وقد وقى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات، وقال له رسول الله ﷺ يوم أحد: أوجب طلحة، وقد صحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وكانوا عنه راضين، وفي مقتل عثمان اعتزل، فلما حضر يوم الجمل اجتمع به علي فوعظه، تأخر فوقف في

بعض الصفوف ، فجاءه سهم فوق على ركبته وساقه وخالصة الفرس
فجمع به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول: إليّ عباد الله ، ومات بالمعركة ،
ولما رآه علي مسح عن وجهه التراب وقال: رحمة الله عليك أبا محمد يعز
عليّ أن أراك مجدولاً.

وعن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاراي في
الجنة».

ونسب إلى علي قوله: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان
ممن قال الله عنهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾. [الحجر: ٤٧].

- الزبير بن العوام:

ابن أسد بن عبد العزى ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله
ﷺ ، أسلم قديماً وعمره خمسة عشر عاماً ، هاجر إلى الحبشة ثم إلى
المدينة ، شهد المشاهد كلها ، ويوم الأحزاب عندما قال رسول الله ﷺ:
«من يأتيني بخبر القوم» ، قال: أنا ، ثم ندب الناس فندب الزبير ، فقال
عليه السلام: «إن لكل نبي حوارين ، وحواريّ الزبير».

وعن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قريظة ، وهو أول
من سل سيفاً في سبيل الله في مكة عندما بلغه أن رسول الله قد ﷺ قتل
فجاءه شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله ﷺ.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله
ﷺ وهو راضٍ عنهم. صحب الصديق ، وتزوج ابنته أسماء أخت عائشة
رضي الله عنهم. ومن جملة من دافع عن عثمان رضي الله عنه.

ولما كان يوم الجمل ، ذكّره عليّ بما ذكره ، فرجع عن القتال
(الحديث: تقاتل علياً وأنت له ظالم) ، وعندما تقدم للصلاة طعنه عمر بن
جرموز فقتله بوادي السباع ، واحتز رأسه وذهب به إلى علي يريد أن يكون
له حظوة عنده ، فاستأذن عليّ فلم يأذن له ، وقال: بشروه بالنار ،
سمعت رسول الله ﷺ يقول: بشروا قاتل ابن صفية بالنار.

الاقتيال في صفين

جرى القتال على أشده فقاتلوا بالرماح حتى تقصفت وبالنبال حتى فتت وبالسيف حتى تكسرت ، وتقاتلوا بالأيدي والحجارة ورمي الوجوه بالتراب، وتعاضوا بالأسنان ، يقتتل الرجلان حتى يثخان ثم يجلسان يستريحان وكل واحد يهمهر على الآخر ، ثم يقومان يعيدان الاقتال ، إلى أن رفع أهل الشام المصاحف - وكانت خدعة من عمرو بن العاص - فإذا لم يقبلوا بالتحكيم فقد وقعوا بالإثم ، وإن قبلوا انقسموا ، وهذا ما حصل ، إذ رضي قسم ولم يرض الآخر ، ورفع أهل الشام المصحف قائلين: لا حكم إلا لله .

ثم جرى طلب التحكيم ، واختار عليّ حكماً (أبا موسى الأشعري) ، واختار معاوية (عمرو بن العاص) ، وكانت الخدعة الثانية من عمرو بن العاص إذ ارتأى أبو موسى أن يخلع كلّ صاحبه ، ثم تختار الأمة أميرها ، وبدأ الكلام أبو موسى الأشعري فاستدرجه عمرو بن العاص فخلع أمير المؤمنين علياً أمام الناس على أن يخلع عمرو معاوية ثم يختار الناس ، إلا أن عمرو لم يخلع صاحبه ، وهكذا وقع اللغظ في جيش علي رضي الله عنه .

وسقط الأمر من يد أمير المؤمنين علي وثار عليه الخوارج ؛ لأنه قبل بالتحكيم فأسمعوه كلاماً لا يليق بمؤمن ، وطلب قسم منهم منه الإقرار بالكفر وأن هذا ذنب لا بد من التوبة منه ، وبالغوا بالتنكير عليه ، فقد قال زرعة بن برج الطائي وحر قوص بن زهير: لا حكم إلا لله والتعريف بآيات القرآن ، هؤلاء الجهلة الضلال والأشقياء في الأقوال والأفعال ، اجتمع

أمرهم على الخروج من بين أظهر المسلمين وتواطؤوا على السير إلى المدائن؛ ليملكوها ويتحصنوا بها.

فكتبوا كتاباً لمن على مذهبهم من أهل البصرة وغيرها؛ ليوافوهم على النهر ليكونوا يداً واحدة ، واجتمعوا بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وقام إليهم ابن عباس رضي الله عنه وفند مزاعمهم وما أخذوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

كما طلب علي بعد أن اجتمع عليه جيش المدائن من الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم؛ حتى نقتلهم بعد أن قتلوا عبيد الله بن خباب وامراته الحامل بعد أن بقروا بطنها ، وغيرهما من المسلمين ، وعاثوا في الأرض فساداً.

واصطف الخوارج مقاتلين لعلي وأصحابه ، واصطف جيش علي وأعطى راية لأبي أيوب الأنصاري لمن يريد الأمان للخوارج ، فكان يقول: من جاء الراية فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة فهو آمن ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن ، ولا حاجة لنا فيكم إلا من قتل إخواننا وكانوا أربعة آلاف ، وانصرف أغلبهم إلا ألف مع عبد الله بن وهب الراسبي ، وزحفوا إلى علي وأمر علي أصحابه أن لا يبدؤوهم القتال ، وكانوا يقولون: لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة .

وقاتلهم جيش أمير المؤمنين فقتل أمراءهم عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن شجرة السلمي ، وصار الخوارج صرعى ، ولم يبق منهم إلا عدد الأصابع ، ولم يقتل من جيش علي إلا بقدر عدد الأصابع ، وبعد انتهاء المعركة خرج علي في طلب ذي الثديية فوجده في حفرة ومعه ٤٠ - ٥٠ قتيلاً ، فلما نظر إلى عضده فإذا اللحم مجتمع على منكبيه كثدي المرأة له حلمة عليه شعرات (كما وصف رسول الله ﷺ ، وكان رجلاً له ريح منتنة شديد السواد) عند ذلك سجد علي شكراً لله . لم يأخذ الغنائم من الخوارج بل ردها لأهلها .

- ولما سئل رضي الله عنه عن أهل النهروان. أمشركون هم؟ قال: من

الشرك فروا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فمن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا.

- ولما قتل ابن ملجم ، لعنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

بايع أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وبايع أهل الشام معاوية بن أبي سفيان ، ثم ركب الحسن في جنود أهل العراق ، وركب معاوية في أهل الشام ، ولما تواجه الجيشان سعى الناس بينهما بالصلح ، فانتهى الحال إلى أن يتنازل الحسن لمعاوية (أعطاه البيعة) بعد أن خذله جيشه وشعر بتآمرهم عليه بعد أن سرت إشاعة عن قائد ميمنة جيشه فانقضَّ عليه الناس وحاولوا قتله .

وخطب الحسن في الكوفة بحضور معاوية قائلاً: وإنها فتنة لكم ومتاع إلى حين. فغضب معاوية وقال: ما تعني؟ قال: ما عناه الله .

وقام أبو بكر ينصح معاوية بقوله: تنظر في نفسك ورعيتك وتعمل صالحاً فإنك تقلدت عظيماً خلافة الله في خلقه ، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث يوشك أن يبلغ المدى . فلا تؤثرن على رضا الله شيئاً .

- عن معاذ بن جبل وأبي عبيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم كائن ملكاً عضوداً وجبرية وفساداً في الأرض ، يستحلون الحرير والفروج والخمر ، ويرزقون على ذلك ، وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل» .

ولما تنازل الحسن حقناً لدماء المسلمين كان له على معاوية كل عام جائزة ، وكان الحسن يغدو إليه فيكرمه وله راتب سنوي . وقاسم الحسن ماله الله ثلاث مرات وخرج من ماله مرتين .

وعندما قال له شيعته: يا عار المؤمنين؛ لأجل صلحه مع معاوية، قال لهم: العار خير من النار.

- دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية، فقال له معاوية: مالك لا تقاتل معنا والله يقول: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩]، فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»، فقال له معاوية: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ أما إني لو سمعته منه ما قاتلته.

- وعن معاوية قوله: والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ: «يا معاوية إن ملكت فأحسن». وفي رواية: «يا معاوية: إن وليت أمر المسلمين فاتق الله واعدل» (وليس فيه أنك خليفة).

- كان في العراق حजर بن معاوية رضي الله عنه من محبي علي رضي الله عنه وكان شديداً قوياً في دين الله، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، يصحح للولاء أخطاءهم، ويطالبهم بصرف عطايا للناس في أوقاتها، وكان معاوية قد استعمل على العراق زياد بن أمية فكان يستمع لنصائح حجر.

وبعد أن خرج زياد للبصرة واستعمل على الكوفة عمر بن حريث، فلما صنع عمر شيئاً كرهه حجر - وكان عمر على المنبر - فناداه حجر وهو على المنبر، فرد عليه وحصبه هو وأصحابه، ثم أرسله زياد بعد أن قبض عليه إلى معاوية يؤشئ به، فوقف قبل قتله يقول: اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وأهل الشام قتلونا.

- قالت عائشة لمعاوية رضي الله عنهما عندما أذنت له بالدخول عليها بعد إلحاح: أنت الذي قتلت حجراً؟ قال: لم يكن عندي أحد ينهاني.

كما عاتب ابن هبيرة معاوية في قتل حجر وهؤلاء النفر من الناس. وهذه

من الأخطاء التي ذهبت بالصالحين ومحبي آل البيت تمهد للفتنة التي يعمل لها السبئية .

- حتى قال معاوية: ما قتلت أحداً إلا وأنا أعلم فيما قتلته إلا حجراً ، حتى إن عبد الله بن يزيد بن أسد دخل على معاوية في وفاته فرآه جزعاً ، فسأله ما جزعك؟ قال: رحم الله أباك كان صالحاً نهاني عن قتل حجر وسبعة معه من الوجوه في العراق .

- ثم تولى مروان بن الحكم أمر المدائن ، ودخل نفر من الشيعة على الحسن رضي الله عنه الذي كان على علاقة حسنة مع معاوية فأخبروه عن قتل معاوية لحجر ، فاسترجع ، فلما اطمأنوا بدأوا يغدون عليه ويختلفون له ، فلما كتب مروان لمعاوية عن الأمر أجابه معاوية: لا تتعرض للحسن بشيء فقد بايعنا وليس بناقض بيعته ولا تخفِرْ ذمتنا .

* * *

الخوارج

- الغلاة:

كان رسول الله ﷺ يوزع ويعطي صناديد قريش يتألفهم ، فأقبل رجل غائر العينين ، مشرق الوجنتين ، نائي الجبين ، كث اللحية ، محلول ، فقال: يا محمد اتق الله ، فقال عليه السلام: فمن يطع الله إن عصيته؟ ، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنونني! فسأله رجل في قتله ، فمنعه ، فلما ولى قال عليه السلام: يخرج من ضئضى هذا - أو من عقب هذا - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مرق السهم من الرميّة ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد.

- وبينما القوم عند رسول الله ﷺ كلمه رجل من بني تميم يقال له: (ذو الخويصرة) ، فقال: يا محمد ، اعدل ، فقال: «ويحك.. فمن يعدل إذا لم أعدل ، خبت وخسرت إن لم أعدل» ، فقال عمر: أتأذن لي فيه يا رسول الله فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه يا عمر ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ينظر إلى نصله فلا يجد فيه شيئاً ثم ينظر إلى رصافه فلا يجد منه شيئاً ثم ينظر إلى قذذه فلا يجد منه شيئاً قد سور الفرث والدم. آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة يخرجون على حين فرقة من الناس».

- هؤلاء أول من تجرأ على مقام النبوة فطلب العدل والتشدد منهجاً ولم

تسعه شعائر الدين بالرفق ، ولكنهم أهل التفريط والإفراط لذا وردت الأحاديث بقتالهم .

- هذه الفئة بدأت تمارس الغلو عندما أجبرت أمير المؤمنين علياً على وقف القتال في صفين ، ثم أجبروه على التحكيم ، وبعدها قال عروة بن أدبة من بني تميم: أتحكمون الرجال في أمر الله ، لا حكم إلا لله .

- كذلك الأشعث غضب لقومه بعد أن خرجوا مع علي بن أبي طالب أمير المؤمنين متوادين متحابين فعادوا أعداء متباغضين حتى نزلوا بأرض حروراء (ثمانية آلاف من القُرَاء) خرجوا على أمير المؤمنين فقتلوا رسوله ، وقد مرَّ بهم عبد الله بن خباب وكان والياً لعلي في بعض المناطق فقتلوه وبقروا بطن سُرَيْيَته عن ولد فبلغ ذلك أمير المؤمنين فخرج عليهم في الجيش المهيأ للخروج للشام فأوقع بهم في النهروان ، ولم ينج منهم إلا دون العشرة . أساسهم حرقوص بن زهير وذو الثدية وذو الخويصرة السالف ذكرهم .

- أجمع الخوارج على تكفير أمير المؤمنين علي والشهيد عثمان الخليفة وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم وجيوشهم ، وأصحاب أمير المؤمنين علي في صفين ، وتكفير الحكمين ومن حكمهما ومن رضي بحكمهما ، وابتدعوا الخروج على السلطان الجائر (مخالفين سنة الرسول عليه السلام وأقواله في ذلك) ، كما جوزوا أن تكون الإمامة في غير قریش (مخالفين أحاديث رسول الله ﷺ في ذلك) كما جوزوا أن يكون الإمام عبداً أو حراً نبطياً ، وأن لا يكون هناك إمام أصلاً .

- انقساماتهم :

١ - الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق أحد قادتهم ، وكانوا في البصرة والأهواز ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، قتلوا مخالفينهم من العميان والعجائز والأطفال ، ومع ذلك حرّموا قتل اليهود والنصارى والمجوس . كما أسقطوا الرجم عن الزاني ، وحد القذف عن النساء فقط دون الرجال . وقالوا بجواز

أن يرسل الله نبياً يكفر بعد نبوته ، أو أن يكون كافراً. وأن مرتكب الكبيرة لا يجلد.

كانوا لا علم لهم بالفقه فحاورهم ابن عباس فعاد منهم أربعة آلاف للصواب.

٢ - النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي من اليمامة ، كفروا كل من اعتبر إمامه نافع (الأزارقة) ، عقيدتهم: أن اللطم (كذبة صغيرة ، أو نظرة) مع الإصرار شرك. وأن من زنى أو سرق أو شرب الخمر غير مصرّ فهو مسلم.

٣ - الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر ، عقيدتهم عقيدة الأزارقة نفسها.

٤ - الإباضية: أتباع عبد الله بن إياض ، وكان منظمهم جابر بن زيد ، لذا استمروا ، ولا يزال أتباعهم في عمان والجزائر. وعقيدتهم أن جميع مخالفينهم كفار غير مشركين تجوز مناكرتهم وموارثتهم وأخذ غنائمهم (أموالهم) ، وعقيدتهم هي عقيدة الأزارقة ، وأن مرتكب الكبيرة كافر بنعمة الله ، وأن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ موحدون أصحاب كبيرة وليسوا مشركين.

٥ - الزيدية: أتباع يزيد بن أنيسة ، على رأي الإباضية يدعي أن الله بعث رسولاً من العجم ، وأتباعه هم الصائبون ، وينسخ شرعه شرع محمد ﷺ.

٦ - الميمونية: أتباع ميمون أو عبد الكريم بن الأجرد (العجرد) ، أخذوا بأقوال المجوس ، فأباحوا نكاح بنات الأبناء وبنات الأخ أو الأخت ، وأن سورة يوسف ليست من القرآن ، وكذلك حروف السور ، وأن الحج يكون على مدار العام ، وأن أهل النار في لذة ونعيم كأهل الجنة.

٧ - البدعية: يقطعون لأنفسهم بالجنة من غير شروط ولا استثناء ، وأن الصلاة ركعتان فقط.

٨ - الحفصية: أتباع حفص بن أبي مقدم من الإباضية. يقولون: من

عرف الله وكفر بالنبي ﷺ فهو كافر وليس مشركاً ، فإن جهل الله أشرك .
ومن عرف الله مؤمن وإن كفر بالنبي ﷺ والجنة والنار واستحل المحرمات
كالقتل والزنا واللواط والسرقة ، فهو كافر بريء من الشرك .
- ما يمتاز به الخوارج :

الانعزال وقلة النقاشات مع السلف لضحالة الفكر ، فقد استطاع ابن
عباس أن يعيد نصفهم إلى صف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، لذا لم
يكفرهم الصحابة بل اعتبروهم بغاة ، فلم يشكلوا خطورة ، فكانوا يرون
حبسهم حتى يحدثوا توبة .

* * *

الحسين يطلب الخلافة

لما آلت البيعة ليزيد في حياة معاوية ، امتنع الحسين بن الزبير وغيرهم عن ذلك ، إلا أن معاوية شعر أن حسيناً يكتاب أهل العراق ، إذ أرسلت السبئية رسائل باسم وجوه القبائل في الكوفة ، فكتب إليه معاوية: اتق الله وانظر الميثاق فإنك متى تكذني أكذك ، ووصى ابنه وقال: انظر حسيناً.

ولما مات معاوية خرج الحسين وابن الزبير فارّين إلى مكة ، وعظم شأن ابن الزبير في مكة وبلاد الحجاز ، ومع ذلك لم يك معظماً عند الناس مثل الحسين ، ووردت الكتب على الحسين من بلاد العراق يستحثونه ويستقدمونه عليهم ، واجتمع وجوه الكوفة في منزل سليمان بن جرد؛ لمبايعته وطرده الأمير النعمان بن بشير.

عند ذلك أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة الأمر ، فإن كان كما يدعون ليركب وأهله ويأتي الكوفة ، وكتب معه كتاباً لأهل العراق ، وسار مسلم بن عقيل من مكة إلى المدينة إلى العراق ومعه دليلان للطريق ، هلك الأول ثم الثاني من شدة العطش، وضلا الطريق ، فنظر مسلم وأرسل إلى الحسين يستشير ، فكتب إليه الحسين يعزم عليه الدخول إلى العراق والاجتماع بأهل الكوفة ، فتجمع على مسلم بن عقيل حوالي ثمانية عشر ألفاً ، فكأنما تمت البيعة ، فكتب مسلم إلى الحسين يستقدمه ، فانتشر الخبر ووصل إلى يزيد بن معاوية ، فكتب إلى واليه زياد في الكوفة بطلب مسلم بن عقيل وقتله.

عند ذلك جمع مسلم القبائل لقتال زياد إلا أن القبائل انصرفت عنه بعد أن خذلهم زياد عنه. وهكذا أحبط مسلم ، وتقالَّ الناس عنه حتى لم يبق معه إلا ثلاثون ، وصلى المغرب وأراد العودة ، فخرج يقصد أبواب كندة وليس معه إلا عشرة ، ثم انصرفوا عنه وبقي وحده وليس معه من يدلّه على الطريق ، إلى أن دخل بيتاً ليشرّب فأسلمه ابن تلك الدار إلى عبيد الله بن زياد فقاتله حتى أعطي الأمان ، فأركبوه بغله وسلبوه سيفه وعرف أنه مقتول ، وفي حوار مع ابن زياد طلب أن يقضى دينه وأن يكتب إلى الحسين بالعودة ، ولكن أمر به ليصعد إلى أعلى القصر وهو يهلل ويكبر ويسبح ويستغفر فضرب عنقه وألقي رأسه لأسفل وأتبع جسده برأسه .

- وكان الحسين قد بعث كتاباً إلى أشراف البصرة يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن يطيعوا أمره وخرج الحسين ، وهكذا وصل الكتاب الذي طلب مسلم بن عقيل إيصاله يطلب منه ألا يخرج ولكنه كان مصمماً على الخروج ، ولما استشعر الناس خروجه وقد علموا بمقتل مسلم بن عقيل أشفقوا عليه وحذروه وذكروا ما جرى لأبيه ولأخيه الحسن ، وقد أناه ابن عباس وقال: يا بن عمي إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبيّن لي ما أنت صانع؟ فقال: إني قد أجمعت المسير ، فقال: أخبرني إن دعوك بعدما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وطرده من بلادهم فسرّ إليهم ، وإن كان أميرهم مقيماً عليهم قاهراً عليهم وعماله تجيء بلادهم فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ولا آمنُ عليك أن يستنفروا عليك الناس... فقال الحسين: إني أستخير الله ، فخرج ابن عباس ، ثم عاد المساء وقال: إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ، وإلا فسرّ إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعباً ولأبيك به شيعة وكن عن الناس في معزل واكتب إليهم وُبِّتْ دعائك فيهم ، فإذا فعلت ذلك فأرجو أن يكون ما تحب ، فأجابه: إني مزعم على السير وأعلم أنك لي ناصح يا بن العم ، فقال: إن كنت لا بد فاعلاً فلا تسرّ بأولادك ونسائك.

- كما لحق به ابن عمر وقال: إني محدثك حديثاً: إن جبريل أتى النبي

ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ والله ما يليها أحد منكم وما صرفها الله عنكم إلا للذي خير لكم ، فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

- وقال ابن الزبير للحسين : أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك . فقال : أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعتاق إنهم معي ، وأنه ليس لهم إمام ، وإذا قدمت علينا بايعناك وقاتلنا معك .

- جاء أبو سعيد الخدري فقال : يا أبا عبد الله إني لك ناصح وعليك مشفق فلا تخرج فإن أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملؤني وأبغضوني وما يكون منهم وفاء قط .

- قال جابر بن عبد الله : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض .

- كذلك كتب إليه المسور بن مخرمة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق .

- كذلك أتاه عبد الرحمن بن أبي بكر وقال : قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك .

- كتبت له عمرة بنت عبد الرحمن تقول : والله سمعت عائشة تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُقتل حسينٌ بأرض بابل . فعندها قال : لا بد إذاً من مصرعي . . . ومضى .

- وبعث حسين إلى المدينة يقدم عليه من خف من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان من إخوته وبناته ونسائه ، وتبعهم أخوه محمد ابن الحنفية فأدرك الحسين بمكة وأعلمه أن الخروج ليس برأي ، فأبى أن يقبل ، فحبس محمد ابن الحنفية أولاده ولم يبعث أحداً منهم حتى وجد الحسين في نفسه على محمد وقال : ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟ ، فقال : ما حاجتي أن تصاب ويصابون معك ، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم؟ . وخرج وهو لا يعلم عن الجيش الذي بعثه عبيد الله بن زياد لقتالهم وعليهم عمر بن سعد .

- قال الحسين : يا عمر اختر مني إحدى ثلاث خصال : إما أن تتركني

أرجع كما جئت ، فإن أبيت تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم فيّ ما رأى ، فإن أبيت فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فلم يقبلوا شيئاً .

- فلما رأى أن أهل العراق خاذلوه ثم إن عبيد الله بعث إليه شمر بن ذي الجوشن .

- وعندما أحاطت به الخيول وقف ينادي أصحاب الكتب التي كتبوها له : ألم تكتبوا إلي أنه قد أينعت الثمار فاقدّم علينا فإنك إنما تقدم على جند مجندة . فقالوا : لم نفعل . فقال : أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف . فقالوا : إلا تنزل على حكم بني عمك ، وأقبلوا يزحفون نحوه ومنعوه ونساءه وبناته الماء وكثرت المبارزة بين مجموعة الحسين وجيوش الكوفة ، وقاتل أصحاب الحسين الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف ثم طعن ثم حز رأسه (قتله شمر بن ذي الجوشن) بعد قتل أولاده وأصحابه ، وكان رابط الجأش وكان به أكثر من ثلاثين ضربة ومثلها من الطعنات ، وهكذا قتل معه ثمانية عشر من أهل بيته وستون رجلاً من شيعة ، يوم عاشوراء سنة ٦١ للهجرة . وهكذا تأمر على الحسين السبئية كما تأمروا على ابن عمه وأخيه وأبيه .

- كما قتل السبئية أهل العلم والفضل من أنصار آل البيت ؛ ليخلو الجو للمستترين حملة الأفكار الضالة والمبادئ الهدامة ، مثل : المختار ، والمغيرة ، وبيان ، ومنصور ، وأبي الخطاب ، الذين هم من مفرخات السبئية .

وقد أكرم يزيد آل البيت (الصغار والبنات والنساء) وأجرى عليهم الكساوي .

* * *